توظيف المثل والأسطورة في الخطاب الروائي الجزائري

روايتي "الغراب الأخير" و"في حضرة الماء" لمبروك دريدي أنموذجا

Employing ideals and legends in the Algerian novelist discourse
My novels "The Last Crow" and "In the Presence of Water" by Mabrouk Dridi as a modelحمزة ثابتي¹، د بوحفص بوجمعة²

مخبر الدراسات الأدبية والإنسانية الجزائرية

¹ جامعة تبسة، (الجزائر)، Thabtihamza10@ univ-tebessa.dz² جامعة تبسة، (الجزائر)، boudjemaa.bouhafs@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ المراجعة: 2022/12/20

تاريخ الإيداع: 2022/12/05

ملخص:

يروم هذا المقال البحثي بالتحليل والنقد إلى تقصي ومقاربة تقنيات استدعاء التراث الشعبي في مختلف الخطابات الروائية، وتحديد الخطاب الروائي الجزائري الذي انفتح على تداول وتمثيل مختلف الفنون الأدبية داخل المتن الروائي، ويعد التراث الشعبي أنموذجا ثقافيا يعكس تعلق الذات الروائية بالفضاء الشعبي ومختلف الأنواع الشعبية التي تمزج بين ثقافة المبدع وعلاقته بالبيئة التي عاش فيها ولعل المثل والأسطورة يمثلان أحد الأنواع الشعبية التي تفرد بها الروائيون لتمثيل تجاربهم وتبيان مقاصدهم الخطابية في صورة جمالية، والناظر لمختلف الروايات الجزائرية تستوقفه أعمال الروائي مبروك دريدي الذي نهل من التراث الشعبي ورصد له بنيات نصية في مختلف نصوصه، انطلاقا من هذا الطرح اخترنا الوقوف عند التجربة الروائية لهذا المبدع الذي تعج نصوصه بالصور الأسطورية والأمثال الشعبية التي تفتح آفاق البحث لاستكناه حقائقها من خلال روايتي الغراب الأخير وفي حضرة الماء باعتبارهما نقطة بارزة في الخطاب الروائي نظير ما تزخر به المدونتين من نماذج أسطورة وأمثال شعبية تعكس إلى حد بعيد فنية المبدع في تشكيل خطاب روائي متميز.

كلمات مفتاحية: الأدب الشعبي، التراث، المثل، الأسطورة، الرواية

Abstract This research article aims, by analysis and criticism, to investigate and approach the techniques of recalling folklore in various narrative discourses, specifically the Algerian novelist discourse, which opened to the circulation and representation of various literary arts within the fictional text. Between the creator's culture and its relationship to the environment in which he lived and Perhaps the proverb and legend represent one of the popular types that the novelists singled out to represent their experiences and demonstrate their rhetorical intentions in an

*المؤلف المراسل.

aesthetic image. The novelist of this creator, whose texts are filled with legendary images and popular proverbs that open up the prospects for research to find their facts through the two novels The Last Crow and In the Presence of Water as a prominent point in the novelist

discourse, in contrast to what the two blogs abound with models of legend and popular proverbs that reflect to a large extent the artist's artistry in forming a narrative discourse Featured.

Keywords: Folk literature, heritage, proverb, myth, novel

تمهيد:

تعتبر الرواية من أهم الفنون والأجناس الأدبية التي يمكنها استيعاب أشكال الحياة، وتستفيد من أجناس أدبية أخرى كالقصة الشعبية والأمثال والأساطير وغيرها، وقد عرف العالم العربي هذا الفن في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، بعد تطور القصة و الاحتكاك بالشعوب الأخرى وحصول مبادلات ثقافية، وبعثات دراسية بين العرب والأوروبيين الذين نقلوا إليهم هذا الفن، أما في الجزائر فقد كان الوضع مختلفا، حيث تأخر ظهور الرواية خاصة المكتوبة باللغة العربية بسبب الاستعمار الفرنسي الذي مارس كل أشكال العنف ومنها الثقافي من أجل طمس الهوية الوطنية، لكن بعد الاستقلال تطوّرت الرواية وظهرت عليها علامات النضوج فظهر كتّاب كبار أمثال «الطاهر وطّار»، الذي استحضّر التراث الديني في رواية: «الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزاكي» وكذلك «أحلام مستغانمي» التي جرّبت في أعمالها تداخل الأجناس الأدبية واستحضرت فيها التراث «الأسود يليق بك» و«عابر سيرير» و«ذاكرة الجسد»، وعلى هذا الدرب سار جيل جديد تأثر بهذا التّرح الذي سلكه مؤسسو الرواية الجزائرية ومن بينهم «مبروك دريدي» في روايتي «الغراب الأخير» و «في حضرة الماء» الأمر الذي دفعنا لتسليط الضوء على تجربته الروائية من أجل رصد التعالقات بينها وبين توظيف الأمثال الشعبية والأساطير كنوع من أنواع استحضار التراث التي يلجأ إليها الروائيون الجزائريون وقد جاء مقالنا موسوما توظيف المثل والأسطورة في الخطاب الروائي الجزائري روايتي الغراب الأخير وفي حضرة الماء لمبروك دريدي أنموذجا، منطلقين من إشكالية محورية تتأسس على يلي: كيف استحضّر الروائي مبروك دريدي تيمتي المثل والأسطورة في خطابة الروائي؟

لتنبثق عنها جملة من التساؤلات التالية: - وما مفهوم تيمة التراث؟ وما هي مميزاته؟ وكيف استدعى الروائي هذا التراث؟ وما الغرض من استدعائه؟ معتمدين بذلك على خطة رصدنا فيها مفهوم التراث لغة واصطلاحا، كما تطرّقنا إلى أنواعه مركزين على المثل والأسطورة، فقمنا بتعريفهما وذكر مميزتهما، ثم انتقلنا لتحليل الروائيتين «الغراب الأخير» و«في حضرة الماء» ورصدنا فيهما استحضار الروائي للأمثال والأسطورة لنخلص إلى خاتمة تضمنت أهم ما توصلنا إليه من نتائج لهذه الدراسة وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لمقاربة وفهم طرق تمثيل ومساءلة التراث الشعبي في كتابات مبروك دريدي.

1/تعريف التراث:

أ/ لغة: وردت لفظة التُّراث في لسان العرب في مادة ورث وهي: «الشيء الذي يكون لقوم ثم يصير إلى آخر بنسب أو سبب قال: ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا»¹ أي أن الشيء ينتقل من شخص لشخص عن طريق النسب أو يوجد سبب قد تكون لغة تجمعهم أو دين يحويهم...، أما في معجم مقاييس اللغة عرّفه أبو الحسن ابن فارس «أنّه في مادة ورث الواو والراء والثاء كلمة واحدة الورث الميراث: ما خلفه لنا السلف من آثار فنية وعلمية وأدبية مما يعد نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه»² ليتضح لنا من خلال التعريفين أنّ لفظة التُّراث تبرز ما تركه السلف لمن بعدهم من آثار سواء مادية أو لا مادية، أمّا في القرآن الكريم قال تعالى: "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ"³ سورة النمل الآية 16 وأمّا في سورة الفجر قال تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ" فجاءت كلمة التراث هنا حسب ابن كثير بمعنى الميراث وما يخلفه الإنسان من أشياء مرّ عليها الزمن .

ب/ اصطلاحا

أخذ التّعريف الاصطلاحي للتُّراث الشّعبي حيزًا كبيرًا من اهتمام الباحثين كونه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة الإنسان، لهذا وجدنا في كتبهم عدّة تعاريف من بينها: « أن الفلكلور يتضمن عناصر كثيرة أهمها الأساطير وقصص الخوارق والحكايات الشعبية والحكم والأمثال الشعبية والأغاني والفنون الشعبية والمعتقدات الشعبية والموسيقى الشعبية والطب الشعبي والعادات والتقاليد الشعبية والمعتقدات الشعبية وغيرها وهي كل أجزاء من الثقافة اهتم بها الأنثروبولوجيون كما تناولها دارسو الفلكلور والمتخصصون الآخرون⁴، أي أنّ كل ما مارسه الإنسان في حياته الواقعية و مع مرور الزمن أصبحت جزء من تراثه وهويته التي تميّزه عن غيره من بني جنسه، كما نجد تعريفًا آخر يقرّ بأنّ: «الأدب الشعبي لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، هو أدب عاميتها الشفاهي مجهول المؤلف، المتوارث جيلًا عن جيل»⁵ ليظهر جليا أن الأدب الشعبي لم ينزل من السماء ولم يأت من تلقاء نفسه بل هي ممارسة بين الأجيال عبر التاريخ، فكانت المشافهة همزة التواصل بينهم ليصبح أدهم وانعكاسا لذواتهم ومختلف سبل التفكير الإنساني في تلك الفترة، وغير بعيد نجد الناقد "محمد الجابري" يعرف التراث « كل ما جاءنا مم سبقنا في الوجود»⁶ ويقصد الجابري هنا أن كل ما مارسه الأجداد في وجودهم فهو تراث سواء مادي أو معنوي، لهذا فمعظم المفاهيم التي قدمت للتُّراث الشّعبي يفيد مجملها أنّه ينتقل عن طريق المشافهة، لا التدوين في الكتب وأنه مجهول المؤلف، ويؤثر تأثيرا بليغا على الأجيال القادمة، ويصبح أدبا عاميا يتواصلون به ليترسخ في ذاكرة الأجيال فيكون أدهم الخاص بهم...

ويرى العالم الأمريكي "سميث طومسون smithethomson، أنّ التُّراث الشّعبي مرادف للأدب الشّعبي في قوله: «إنه شيء انتقل من شخص إلى آخر وجرى حفظه عن طريق الذاكرة والممارسة أكثر مما حفظ عن طريق السِّجَل المدني»⁷ ما يعني أن الصِّفَة المميّزة للأدب الشّعبي هي الانتقال مشافهة دون التدوين في الكتب.

2/ أنواع النثر الشعبي :

قسم الباحثون الأدب الشعبي إلى عدة مصادر نذكر من بينها ما يلي "المثل" حيث أخذ المثل حيزا لا بأس به عند الباحثين ، فقد وجدنا في بعض التعاريف اللغوية عدة معاني من بينها: فالمثلجاء في لسان العرب لابن منظور

هو: « الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله وفي الصِّحاح ما يضرب به من الأمثال »8. أي مقارنة شيء بشيء يشبهه في شيء، كأن نصف شيء أبيض ناصح بلون الثلج... الخ، وفي معجم الوسيط يمثل « جملة من قول مقتطعة من كلام ، أو مرسله بذاتها تنقل من وردت منه فيه إلى مشابهة بدون تغير مثل :الصيف ضيعت البن والراند لا يكذب على أهله والأسطورة على لسان حيوان أو جماد كأمثال كليلة ودمنة»9 أي أن المثل الأول يستدعي في حادثة ما لتشابه الأحداث بينها، وعرفه "الفيروز آبادي": «المثل محرّكة الحجّة والحديث، وقد مثل به تمثيلا وامتثله به... تمثل بالشيء ضربه مثلا وتمثله»10 يتضح من خلال هذه التعاريف أن المثل يضرب للشيء فيجعله شبيهه ومرادفاله في أماكن وأزمنة مختلفة.

ب/ اصطلاحا:

شغل المثل الشعبي الباحثين والدارسين منذ زمن بعيد فمنهم من عرفه بقوله: « قول مأثور يمثل خلاصة تجارب حياتية، ومحصلة وخبرات إنسانية شعبية فردية أو جماعية، يتميز بإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى ووجود كناية، وهو كالعملة ذات الوجهين وجه يشتمل على معنى ظاهر، وآخر معنى خفيا وهو المعنى المراد والمقصود، وجه يحيل إلى الحادثة الأولى التي قيل فيها المثل، لأول مرة المورد وآخر يحيل إلى الحادثة المشابهة الأولى ، التي يعاد فيها ضرب المثل المضرب»11.

ويعرفه "الخوارزمي" حين قال عن الأمثال المولدة في مقدمة كتابه: « هي قريبة إلى الفهم، عذبة على اللسان، مقبولة في القلب، لا يجهلها العامة، ولا يتكبر عنها الخاصة، وأكثرها مرسله لا يعرف أصحابه، لإتيان الزمان على ذلك، ولأن كلام العرب لا تقيده الأفهام ، ولا تشتغل بتخليده الأرقام، ولا يجري بالضبط: ولا يجري في الضبط والرواية مجرى كلام العرب الذين حفظوا أنسابهم وقيدوا آدابهم، وعلموا أنّ الأمثال حكمتهم فوعّوها وأنّ الشّعور دواوينه مفرووها...»12 أي أن المثل عبارة عن كلام موجز يجسد وعمهم الذي يعبر عنهم.

ويعرفه أحمد أمين قائلا « الأمثال نوع من أنواع الأدب، يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية ، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست ذلك كالشعر والنثر الفني، إنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب. فالعجائز في البيوت تؤلف الأمثال وطبقة الفلاحين ينبع منها وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي ويستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها إلى الحياة؛ لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها»13 و من خلال ما قاله أحمد أمين يتضح لنا أن الأمثال عبارة عن معيار توزن به أمة من الأمم في رقيها أو تخلفها.

وأما « رابع خدوسي» يرى أنّ المثل الشعبي يعتبر صفوة الأقوال، وعصارة الأفكار سبقتنا عبر التاريخ الإنساني، وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء والحكماء، أجمع المتحدثون عن صوابه للاستشهاد به في مواقف الجدل ، ومختلف ضروب الكل»14. إذن فالمثل انطلقا مما قدمناه من مفاهيم نجد أنه كلام موجز ويحمل معنى ويعتبر معلما تاريخيا وثقافيا للأمم السابقة تناقلته الأجيال فيما بينها، ولتقريب المفاهيم لا بد من مثل شعبي مأثور، لتوضيح المعنى أكثر فيقال

من خالط العطار طاب بطيبه ومن خالط الفحام نال السوائد.15

أي أن الإنسان يتأثر بمن يصادق حتى قيل أن الصحاح صاحب.

3/ توظيف المثل الشعبي في روايتي الغراب الأخير وفي حضرة الماء

ورد في كتب الباحثين والدارسين للمثل الشعبي عدة مميزات نوجزها في ما يلي:

أ/ يتميز الإنسان أنه اجتماعي بطبعه ويتميز عن سائر الكائنات بالكلام أين كانت اللغة همزة التّواصل بينه وبين بني جنسه وللحفاظ على خصوصيته خاصة هويته أي تراثه فكانت الميزة الأساسية هي «التداول الشفوي والتوارث جيلا عن جيل».

16

ولقد وجدنا في رواية «الغراب الأخير» ل«مبروك دريدي» ما يؤكد لنا أن الروائي له باع في توظيف بعض الأمثال الشعبية في إبداعه حيث يقول « منذ طفولتي لم أسمع اسما سوى السبع»¹⁷ وفي مفهومنا العامي، يعني كل صفات الحسنه فيه، رغم أن الروائي فسّر ماذا يعني السبع بمفهومه حيث يقول: « تمثلا بالأسد صاحب الجلالة و السلطان»¹⁸.

وفي مقطع آخر وجدنا مثلا تاريخيا مشهورا، يمثل حقبة تاريخية مهمة ومؤلمة يقول: « استيقظت من منامي على فجر يتنفس في صدري في شقتي ببرشلونة حيث اختفيت كملك من ملوك الطوائف الناجين من محاكم التفتيش.. »¹⁹ نفهم من خلال ما ورد، يتّضح لنا أن الروائي عبقرى، لم يغفل حقبة تاريخية تجرم الإسبان الذين نكلوا بالمسلمين، خلال سقوط آخر معقل لهم بأوروبا سنة 1492م.

ب/ الطابع الشعبي: « يتمثل في أسلوبه، الذي يتضمن فلسفة شعبية بسيطة نابغة من الحياة الجارية، ولهذا فهي تدرك بسهولة، لأنها في الدائرة الشعبية المصوغة بأسلوب شعبي وضيق»²⁰.

ولقد وقفنا على مثل شعبي وظفه الروائي، يؤكد هذه الميزة في الأوساط الشعبية في مقطع يقول: «كيف لهذا الرومي الأشقر، بعينين زرقاوين، أن ينطق كلمة عربية بسلاسة؟»²¹ رغم أن المعنى خفي، إلا أنه يتضح من خلال كلمة "رومي" ويقصد لون البشرة إضافة إلى العينين وهذا ما أكده مقطع آخر في الرواية، حيث يقول: «التفت سائق طاكسي في دهشة وحيرة ولكنك تتكلم العربية؟ لأول مرة أقابل أوروبا يتكلم بالعربية...»²² حيث يصور لنا الروائي الحوار الذي وقع بين سائق السيارة وبطل الرواية ودهشت السائق عندما سمع روميا يتكلم العربية.

ج/ تمثل الأمثال الشعبية خلاصة التجارب الحياتية و محصلة الخبرات الشعبية²³ والقارئ لرواية «الغراب الأخير» لمبروك دريدي في مقطع له يقول «أيلي أيلي والغانى ربي آش.. نعمل آش نعمل.. آش من حيلة تنفعني معاك»²⁴ لم يجد حل لمراده فاستسلم وأقر أن النفع والغنى من لله فقط، وفي مقطع آخر يقول: «كان الأطفال يسخرون مني ويتهمون علي فينادونني الرومي...»²⁵.

وهذا عائد إلى التشابه بينه وبين الروم فيقول: «...فحدثني نفسي أن الأطفال رأوني بعيني زرقاوين وشعر أصفر فعقدوا الصلة الشبه فمن هم على هذه الخلقة إنما من قوم الروم وليس من غيرهم»²⁶. وفي مقطع آخر، يصف ما خلفه الإرهاب من دمار وتخريب المنشآت وتيتم الأطفال وإحراق الضرر بالأشخاص من عاهات وتشوهات فلم يجد إلا هذا المثل ليعبر عن الواقع المرير فيقول: « ستزحف النار في الهشيم»²⁷ أي تأتي على الأخضر واليابس، فتحرقه دون رحمة وشفقة.

وفي مقطع آخر في رواية «في حضرة الماء» عاد بنا الروائي إلى أحضان الريف ونظرة السكان إلى نساء المدينة حيث تمثل في كلام «خالتي زهور» التي قالت عن نساء المدينة: «إنهن فرنسيس... روميات لا يحشمن ربي يسترنا» 28

فهذا المثل يبرز لنا نظرة المجتمع الريفي لكل انحلال أخلاقي حيث يربطه تلقائيا بالغرب خاصة بفرنسا. والمتتبع لرواية «في حضرة الماء» نجد الفرنسيون يسخرون ويستهزئون بالشعائر الإسلامية ويحتقرونها والشاهد في قوله أتعرف يا عامر ماذا قال الفرنسي «إنكم تحفون أقدامكم لتذهبوا في شهور طويلة إلى ذلك البيت الأسود تطوفون به، تشعبدون وتهرجوا، إنكم مساكين أنتم حمقى.. هل يسكن ربكم في ذلك البيت» 29. ما يبين لنا نسق السلطة والتجبر على وحدة العروبة و حسد وكره الفرنسيين للمسلمين والسخرية والاستهزاء بشعيرة الحج.

4/- الأسطورة

تعدّ الأسطورة جزءا لا يتجزأ من الحكاية الشعبية وقد أخذت اهتمام الباحثين وكان حريا بنا الوقوف عند هذا النسق الشعبي لغويا واصطلاحيا لتسهيل عملية البحث وطريقة استنباطها في الخطاب الروائي.

1/4 مفهوم الأسطورة من منظور اللغة والاصطلاح

أ/ لغة: تؤخذ كلمة أسطورة من سطر يسطر تسطيرا أي ألف تأليفا، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور « سطر فلان علينا أي أتانا بالأساطير يقال: سطر فلان يسطر إذ جاء بأحاديث تشبه الباطل يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف» 30 أي أن كل ما يقوله القاص ويؤلفه من حكايات تفوق قدرة الإنسان أن يصدقها تأخذ حكم الأباطيل والاساطير والأكاذيب.

أمّا في معجم العين: « ويقال سطر فلان علينا تسيطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل والواحد من الأساطير من أسطورة وأسطورة وهي أحاديث لا نظام لها بشيء ويسطر معناه يؤلف ولا أصل له، و سطر يسطر إذا كتب» 31.

نستخلص من خلال التعريفين والتبسيط اللغوي الذي وجدناه في معاجم اللغة أنّ الأسطورة نظام تسيير عليه ولا يحكمها ضوابط وأحاديثها كلها غرابة تشبه الباطل، وعليه نعتقد أنّ الأسطورة زئبقية متمردة لا يحكمها نظام معين وأحاديثها كلها ملأى بالغرابة والخيال.

ب/ اصطلاحا: لقد شكّلت الأسطورة مادة مرادفة لمختلف أبحاث الدارسين إذ نلقى العديد من التعريفات التي استقينها منهم ومن بينها أنها: «حكاية مقدسة ذات مضمون عميق تكشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود و حياة الإنسان» 32.

إذن نلاحظ من خلال التعريف المقدم أن الأسطورة كانت لصيقة بحياة الإنسان، و تهتم بكل ماله صلة بالطبيعة تفسر كل ما يقع في الكون وكل ما يتعرض له الإنسان من أحداث تستحق التفسير، ولفت انتباهنا تعريفا آخر أكثر عمقا يقول: « هي تلك المفاهيم والأفكار المعبر عنها على شكل قصة شعرية مصفوفة زجلا أو شعر ذات إيقاع وتحوي طياتها موضوعا دينيا يتعلق بالقوة الإلهية الخفية وتمتاز بطابع القداسة ويتعامل معها الإنسان في تلك الفترة كنص مقدس ولحفظها من جيل إلى جيل» 33.

2/4 أنواع الأسطورة في روايتي الغراب الأخير وفي حضرة الماء

ذكر الباحثون والدارسون للأسطورة عدة أنواع منها:

أ/ الأساطير التعليلية: تعتبر هذه الأسطورة من أنواع الأساطير التي حظيت باهتمام الباحثين في مجال الأدب الشعبي لهذا نجد نبيلة إبراهيم تقول: « إن الإنسان البدائي تأمل الكون الفسيح ثم سرعان ما نجم عن هذا التأمل تعجب ثم نجم عن ذلك التعجب والتساؤل إلحاح شديد من قبل هذا الإنسان على نفسه وعندما لم يجد الإجابة الحقيقية وضع تفسيراً من عنده اقنع به نفسه والآخرين فبدأت نفسه وقرت عينه ورأى في الأمر أن ذلك هو عين الحقيقة» 34.

من خلال التعريف، يتضح أن الإنسان البدائي وضع تفسيراً لظاهرة ما وفق مخيلته لإرضاء نفسه والآخرين، ومن بين الأساطير التي يفسرُها حسب هواه مثلاً «أسطورة الخط الأسود في حبة الفاصوليا» 35. كذلك نجد أسطورة البطل المؤله وهي التي تصوّر لنا بطلا يحاول الوصول إلى معاني الآلهة ولكن صفاته الإنسانية تشده إلى العالم الأرضي» 36 وقد وضع الباحثون والدارسون ذلك بأن «أسطورة أو ملحمة جلجامش البابلية جلجامش البطل هذا بطل خارق ثلاثه إله وثلاثة الباقي إنسان» 37 يتضح من خلال التعريف أن البطل الأسطوري المؤله مزيج بين صفات الإنسان والإله..

وفي رواية «في حضرة الماء» استحضرت الروائي مبروك دريدي إله الزمن هو الإله كرونوس إله الزمن و الوقت و الحصاد: حصاد العمر حصاد السنوات! وقصة عازف المزمار فقال: «لم يستطيع الإله كرونوس أن يأكل الشوف الذي يرتفع قمة كنت أرى منها كل حقول قريتنا هناك، وسنابل القمح الذهبي الذي سمته روما مطمورها ذات يوم» 38 رغم الصفة الألوهية التي اتصف بها إله الزمن الذي اتصف بها إلا أنه لم يستطيع أن يهزم جبال الشوف ويهزمه وهذا ما يجعل إله كرونوس يحمل صفات البشر ويجعله ثلاثه إله والثالث آخر إنسان.

ب/ الأسطورة الرمزية: يتضح لنا من خلال العنوان المعنى وقد وجدنا تعريف يوافق العنوان فهي: «تتضمن رموزاً تشير إلى معاني لها صلة بالحياة الإنسان يمكن شرحها أدبيا ونفسيا لما فيها من أفكار إنسانية ومن أمثلتها الأسطورة اليونانية بيسيدهوكوسيد» 39 و يتبين لنا من خلال ما قدم أن الأسطورة تحمل رموز خفية لها دلالة نفسية وأدبية واجتماعية من خلال تفسيره تفسير استقرائي موضوعي للوصول للدلالة القريبة للمعنى، وقد تحدثت الروائي عن أسطورة سيراميس: «كما تقول أمي وأنا أحمل الأسطورة سيراميس بين ذراعي، مثل ثمار فردوسية....» 40 فكلمة سيراميس تعني الحمامة وتقول الأسطورة أنها ملكة حكمت بلاد الرافدين قبل الميلاد و تعني ثمار فردوسية رمز للجود والكمال لأن كلمة فردوس مصطلح رمزي مأخوذ من الجنة.

وأيضا يقول: «كقارب يحمل أوديسيوس إلى معبد أفروديت» 41 ومن يقرأ ملحمة ومغامراته في البحر وعودته إلى بلاده بعد عشر سنوات من الغياب يفسر أنه يتصف ببعض صفات الألوهية التي كان يؤمن بها الإغريق، ومن خلال عنوان رواية «الغراب الأخير» لمبروك دريدي حيث تقول الأسطورة أن الغراب كان طائرا أبيض يسر الناظرين يعيش في الجنة إلا أن الله في يوم من الأيام كلفه بتبليغ الرسالة لبني البشر كان محتواها الخير والرفاهية للمسلمين والشر والخراب للكفار إلا أن الغراب اخطأ فاختار الخير والرفاهية للكفار والشر والخراب للمسلمين لهذا نجد الناس يتشاءمون من رؤية الغراب وسماع صوت نعيقه، وربما أسقط الروائي هذا على شخص كان له باع في تسيير شؤون البلاد وعندما وصل أدخلها في متاهة لا حل لها.

وفي مقطع آخر من رواية «الغراب الأخير» لهذا كان استحضاره الروائي لشخصية شهريار في موقف يسقطه على حالته التي فيها فيقول: «وقفت خلف منصة الخطابة، وأنا أتمثل منابر الأئمة، وتلال الشعراء، وبدأ لي شهريار الذي بداخلي مكفنا في قصص الخرافة وفتنازيا البطولة»⁴² حيث تقول الأسطورة أنه كان ملك عادل إلا أنه له نقطة ضعف واحدة، أنه يقتل كل النساء التي يتزوجها في ظرف يومين ولهذا كان استحضره في هذا الموقف يستدعي الكذب على الشعب، كما رحبت شهريار ودّ ووثام الملك من خلال قصصها التي سميت بألف ليلة وليلة، وفي مقطع آخر، استحضر أسطورة بروميثيوس فيقول: « وانكمشت في ورطتي مفزوعا مني ، فلعلني أكون قد حكمت على نفسي بخطيئة بروميثيوس وأعدت النار إلى السادة محرقا كل الشباب الذين أخونهم على منصة الكذب»⁴³.

أمام كبار السادة يقول هذا وظن أنه أخطأ فأسقط الحدث على حادثة أسطورة بروميثيوس سارق النار التي تقول الأسطورة أنه كان من عرق الآلهة الجبابرة في عرف الإغريقين إلا أنه تجرأ فسرق قبس من النار وأعطاه لبني البشر من جبال الأوليمب ملك كبير الآلهة فعقب بعد ذلك من كبير الآلهة زيوس.

ج/ الأساطير الطقسية: نفهم من خلال التسمية أن لها مناسبة خاصة تلقى في تلك الاحتفالات لهذا نجد تعريف يقول « هي تلك الأساطير التي بقيت محافظة على الجانب الكلامي للطقوس الدورية التي عرفتها الجماعات الشعبية في الماضي ويقصد بها المتعلقة بالاحتفالات الدينية والموسمية بثنائية -الخصب والجذب- والطقس هو الممارسة التي تناسب تلك الاحتفالات الدينية في حين ترتبط بالجانب الكلامي»⁴⁴ ما يعني أن كل مناسبة دينية لها ما يميزها من غيرها خاصة في موسم جني الثمار وبداية زرعها والصفة المشتركة هي الإلقاء الكلامي بينهما.

د/ أساطير الخلق والتكوين: وهي تهتم بأصل نشأة الخلق وتكونه عبر الزمن لهذا نجد أن الكلمة هي: «أساس مصدر الخلق في أساطير السومريين وكان إطلاق كلمة الخلق بمثابة الخلق نفسه ومن أبرز صفات الخلق إطلاق الاسم على الشيء أو تسميته يعني خلقا أو ظهورا له»⁴⁵ حيث نجد أن أساطير الخلق والتكوين تهتم بكل ما يحيط بالكون سواء معنوي أو محسوس لهذا نجد الإنسان يبحث عن أصلها الأول ويعطي لها تسمية توافق ذلك الشكل.

لهذا وجدنا الباحث «فراس السواح» يعرفها فيقول «الأسطورة تضع الإنسان بكليته في مواجهة العالم وبجميع ملكاته العقلية والحدسية -الشعورية واللاشعورية- وتستخدم كل المجالات الممكنة من أجل تقديم رؤية متكاملة لهذا العالم ذات طابع شمولي تعادل تجربة الإنسان الكلية وغير المتجزئة»⁴⁶ ليتضح لنا من المفهوم أن الإنسان يسعى من بحثه وتساؤلاته تفسير كل ما يحيط به سوى وصل للحقيقة الكاملة أو لا المهم إعطاء تسمية كاملة للأشياء.

3/4- مميزات الأسطورة

إنّ المقارن بين المثل الشعبي والأسطورة يجد تشابها بينهما لهذا وجدنا مميزات الأسطورة وفق ما يلي :

أ/ نفهم من حيث الشكل أنها قصة لها بداية ووسط ونهاية وشخصيات وحبكة وعقدة وما إلى ذلك ترد نثرا وغالبا ما تصاغ في قالب شعري ليسهل حفظها وترتيبها في المناسبات الدينية، فالأسطورة تتخذ من فن القصة شكلا لها ولكن غالبا ما تلقى شعرا في المناسبات الدينية لغرض واحد هو التأثير على الجمهور بالإضافة لتسهيل الحفظ وترتيبها.

ب/ لا يعرف لها مؤلف معين فهي ظاهرة شعبية جماعية لكن هذا لا يمنع من تدخل بعض الأطراف مثلا ما ينسب لأفلاطون وضع ثلاثة مؤلفات أسطورية -أسطورة أهل الكهف- أسطورة النفس لمصيرها-أسطورة النفس بعد الموت، ونفهم من القول الميزة الأساسية للأسطورة أنها مجهولة المؤلف، وأنها مشاركة شعبية لتأليفها، إلا أن الباحثين ذكروا بعض الاستثناءات حيث أشاروا إلى بعض المؤلفين المعروفين كأفلاطون.

ج/ يتميز النص الأسطوري بثباته عبر فترة طويلة من الزمن نظرا لحفاظه على طاقته الإحيائية لهذا وجدنا فراس السواح يقول في هذا الشأن: {ما تنقله من معاني لا تشبه الوقائع أو المعلومات الدقيقة إنه إحياء لا إملاء وإشارة وتضمين لا تعليم وشرح وتلقين} «47

د/ تمثل الآلهة ونصف الآلهة والأبطال المؤهلين أو الملائكة في الموروث الشعبي الإسلامي شخصياتها الرئيسية وإذا ظهر الإنسان على مسرح فإن دوره مكمل لا رئيسي فالأسطورة في المعتقدات الأخرى تكون عبارة عن آلهة وأبطال خارقين للعادة عكس الشعبي الإسلامي تكون ملائكة بالإضافة أن دور الإنسان في المسرح ثانوي فقط ليكمل الأسطورة هدفها لا غير.

ه/ ترتبط بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه..

و/ تعرض الأسطورة حدثا يبقى مائلا أبدا فهي لا تقص ما جرى في الماضي وانتهى بل تعرض يبقى مائلا أبدا لا يتجول إلى ماضي بل يتخذ صفة الخلود الدائم مثل قضية خالق الكون ومسألة تنظيم الكون وتفسيره.. لأن الأسطورة تريد الخلود لا للقص فقط وتتخذ من قصة خلق الكون وتفسير ظواهره موضوعا لها.

ز/ تتمثل الأسطورة بقدسية وسلطة عظيمة على نفوس الناس وعقولهم آمن القدماء بكل الحقائق التي قدمتها الأسطورة كما نؤمن نحن اليوم بما ينقله لنا العلم ومن خلال المقارنة بين القدماء والمحدثين اليوم نفهم سبب تقديسهم للأسطورة والإيمان بتفسيرها.

خاتمة:

نستنتج مما سبق أن التراث الشعبي أدب ينتقل من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة ويميز أمة من الأمم فمثلا أن العرب عرفوا بالشعر الذي هو ديوانهم وقد وجدنا أن النثر الشعبي جزء من التراث الشعبي وقد تطرقنا إلى بعض أنواعه من بينها

- أن المثل الشعبي الذي يعتبر خلاصة اجتماعية قدمت لنا عن طريق قول مأثور يحفظه الخاصة والعامة، ولا تحتاج إلى باحثين لتفسيره ويستعمل حجة وبرهان لتقوية الرأي.

وكما تطرقنا إلى الأسطورة التي يلجأ إليها المجتمع لتفسير ظواهر، لا يمكن للعقل الإنساني فهمها، فكان القدماء يؤمنون بتفسير الخيال كما نؤمن نحن- اليوم- بما يقدمه العلم، بالإضافة إلى ذلك درسنا مدونتي مبروك دريدي واستخرجنا بعض الأمثال التطبيقية التي وظفها في أعماله.

- وظف مبروك دريدي الأمثال الشعبية تمثيلا وتعبيرا عن تعلقه بشعبه وثقافته الدامغة في أزمنة غابرة معبرا من خلالها عن حقه وكره لكل مخلفات المستعمر الذي نكل وأباد الشعب الجزائري باستعمال مختلف العدائية التي تبرز وحشية هذا المستبد الغاشم

- لقد صنعت الأمثال الشعبية لوحة جمالية ترميزية أراد من خلالها المبدع استمالة المتلقي بلغته الراقية وصور الجمال الفني التي تبرز فنية المبدع وطريقته في نسج نصوص إبداعية تسافر بالذات القارئة نحو عوالم مختلفة.

- مثلت الأسطورة في روايتي الغراب الأخير وفي حضرة الماء لمبروك دريدي نسقا ثقافيا يحيل على تعلق الذات الساردة بالفضاءات الأسطورية التي تصور علاقة الإنسان بالوجود ورغبته الجامحة في محاربة كل صور وأشكال الهدم الثقافي التي ترغب في كسر خيوط العروبة وزرع خطاب الكراهية بين الوطنيين.

- استطاع مبروك دريدي من خلال المدونتين السابق ذكرها الخروج من قواعد الكتابة الكلاسيكية والتوجه صوب اللغة الساحرة والصورة الجمالية التي يستحيل اكتشافها إلا من خلال تكرار فعل القراءة وتخير المتلقي الفطن القادر على فتح مغالق اللغة الرمزية التي سيطرت على جل أعمال مبروك دريدي ما يبرز البعد الفني في خطابه الروائي الذي يزخر بمختلف الفنون الأدبية أخذ فيها التراث الشعبي بعدا ثقافيا كسر حدود الكتابة النمطية وأدخل القارئ في فوضى الدلالة اللانهائية.

هوامش وإحالات المقال

1. جمال الدين أبو الفضل محمد بن منظور لسان العرب، مج 11، دار صادر، لبنان، دط، دت، ص: 611
2. أبو الحسن بن فارس: مقاييس اللغة، تح. عبد السلام هارون، ج 6، دار العلوم، القاهرة، مصر، دط، 1979م، ص: 105
- 3/ سورة النمل، الآية 16.
4. فاروق أحمد مصطفى ومرقت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة مصر، ط 1، 2008، ص: 15
5. سعدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر ط 5 ت 1998م، ص: 9.
6. محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1991، ص: 45.
7. أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي المناهج التاريخية والأنثروبولوجية والنفسية والمورفولوجية في دراسات الأمثال الشعبية دار الكتاب الحديث دط ت 1431هـ-2010م ص 15
8. ابن منظور، لسان العرب، مج 11، ص 611.
9. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مج 1، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، مصر، ط 2004، م 4، ص 854.
10. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج 1، دط، 1429هـ/2008م، ص 1508.
11. أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي المناهج التاريخية والنفسية والمورفولوجية في دراسات الأمثال الشعبية، ص 121 و 122.
12. أبو بكر بن العباس محمد الخوارزمي، الأمثال المولدة، تحقيق محمد حسين الأعرج، المجمع الثقافي أبو ظبي، 2003م، ص: 72.
13. أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، دط، 2013، ص 69.
14. راجح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، دط، 2015، ص 4.
15. راجح العوي، أنواع النثر الشعبي، ص: 43.
16. أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي المناهج التاريخية والنفسية والمورفولوجية في دراسات الأمثال الشعبية، ص: 123.
17. مبروك دريدي، الغراب الأخير، دار الباحث، برج بوعربريج-الجزائر، ط 1، 2020م، ص 12

18. المرجع نفسه، ص:13
19. المرجع نفسه، ص:14.
20. رايح العويبي، أنواع النثر الشعبي، ص:72.
21. مبروك دريدي، رواية الغراب الأخير، ص:20.
22. المرجع نفسه ص22
23. أمينة فزازي مناهج دراسات الأدب الشعبي المناهج التاريخية والنفسية المورفولوجية في دراسات الأمثال الشعبية التراث الفلكلور الحكاية الشعبية، ص:123
24. مبروك دريدي، رواية الغراب الأخير، ص:33
25. مبروك دريدي، رواية الغراب الأخير، ص:58
26. مبروك دريدي، رواية الغراب الأخير، ص:59.
27. مبروك دريدي، رواية الغراب الأخير، ص:90.
- 28 مبروك دريدي، رواية في حضرة الماء، دار الثقافة والإعلام حكومة الشارقة، 2015، ص:11
29. المرجع نفسه، ص:22
- 30 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، مج 4، دط، 2010م، ص:363
31. الخليل أحمد الفراهيدي كتاب العين تح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، سلسلة قواميس، ج7 دط، دت، ص:213.
- 32 أمينة فزازي، مناهج التراث الشعبي المناهج التاريخية والنفسية والمورفولوجية في دراسات الأمثال الشعبية الفلكلور الشعبية ص72.
- 33 فاطمة أبو شقال، الأسطورة والخيال، دار أمجد للنشر والتوزيع والخيال والطباعة، عمان الأردن، ط1 ت2012م، ص:46.
- 34 نبيلة إبراهيم أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة للنشر والطبع القاهرة مصر، دط، دت، ص:17.
- 35 رايح العويبي أنواع النثر الشعبي ص21
- 36 المرجع نفسه، ص:21.
37. المرجع نفسه، ص:21.
38. مبروك دريدي، رواية في حضرة الماء، ص:40.
- 39 أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي المناهج التاريخية والنفسية والمورفولوجية في دراسات الأمثال الشعبية التراث الفلكلور الحكاية الشعبية ص75.
- 40 مبروك دريدي رواية في حضرة الماء ص42
41. المرجع نفسه، ص:42.
42. مبروك دريدي، رواية الغراب الأخير، ص:49.
- 43- المرجع نفسه، ص:50.
- 44- فاطمة أبو شقال، الأسطورة والخيال، ص:62.
- 45 أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي المناهج التاريخية والنفسية والمورفولوجية في دراسات الفولكلور الحكاية الشعبية، ص:45
- 46- فاروق أحمد مصطفى ومرقت العشمواوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، ص52.

* قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

والمصادر المراجع

- 1/ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مج1، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، مصر، ط2004، م4.
- 2/ أبو الحسن بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج6 دار العلوم القاهرة، مصر، دط، 1399هـ/1979م.
- 3/ أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، دط، دت.
- 4/ أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي المناهج التاريخية والأنثروبولوجية والنفسية والمورفولوجية في دراسات الأمثال الشعبية دار الكتاب الحديث دط ت1431هـ-2010م
- 5/ أبو بكر بن العباس محمد الخوارزمي، الأمثال المولدة، تح: محمد حسين الأعرج، المجمع الثقافي أبو ظبي، 2003م،

- 6/ الخليل أحمد الفراهيدي كتاب العين تح: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي سلسلة قواميس، ج7 دط
- 7/ الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج 1، دط، 1429هـ/2008م
- 8/ جمال الدين أبو الفضل محمد بن كرم، لسان العرب، مج 11، دار صادر، بيروت، لبنان، دط دت.
- 9/ رايح خدوسي، موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، دط، 2015.
- 10/ سعدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر ط5 ت1998 م
- 9/ فاطمة أبو شقال الأسطورة والخيال دار أمجد، عمان، الأردن، ط1، 2012م
- 11/ ميروك دريدي، الغراب الأخير، دار الباحث، برج بوعرييج- الجزائر، ط1، 2020م
- 12/ ميروك دريدي رواية في حضرة الماء، دار الثقافة والإعلام حكومة الشارقة الإصدار الأول الدورة 2015، 19.
- 13/ فاروق أحمد مصطفى ومرقت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية سوبر الإسكندرية مصر ط1، 2008م
- 14/ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة، القاهرة، مصر، دط، دت.